مجلة كلية الآداب بقنا (دورية أكاديمية علمية محكمة)

نظرية التأويل الدلالي عند الخوارج

أحمد أبوالمجد تهامي معلاوي

باحث بقسم اللغة العربية

كلية الآداب – جامعة جنوب الوادي

DOI: 10.21608/qarts.2023.171626.1537

مجلة كلية الآداب بقنا – جامعة جنوب الوادي – العدد (٥٨) يناير ٢٠٢٣

الترقيم الدولي الموحد للنسخة المطبوعة ISSN: 1110-614X

الترقيم الدولي الموحد للنسخة الإلكترونية ISSN: 1110-709X

موقع المجلة الإلكتروني: https://qarts.journals.ekb.eg

نظرية التأويل الدلالي عند الخوارج

الملخص:

تناول البحث نظرية التأويل الدلالي وأثرها في الدرس اللغوي ومدى استخدام تلك النظرية لدى أهل التأويل والتفسير عند العلماء، وعند سائر الفرق الإسلامية كـ (المعتزلة، والخوارج، والإباضية، والجهمية، وغيرها من الفرق الإسلامية) ، فكانت دراستنا تنبعث من أروقة الفكر العربي وقضياه التي تدور حول أعمدة العقل الإسلامي، فكان لزاما علينا إبراز دور اللغة في مواجهة الفكر المتطرف، والذي أدى إلى تدهور الأمم والشعوب ودمارها، فدور اللغة لا يقل أثرًا عن الآليات الأخرى التي تواجه الفكر المتطرف، وقد اعتمدت الدراسة على وصف الفكر التأويلي عند الخوارج، وإظهار أنماطه الدلالية، ودور العقل في التأويل، ومتى يوافق العقل النقل الصحيح، وعدم إغلاق العقل في التفكير والتدبر في آيات الله وأحكامه، وشرائعه، فلابد من التوازن بين العقل والنقل في تأويل النصوص، ودلالاتها، فلا يخالف العقل النقل الصحيح، كما تناول البحث دور الإحالة اللغوية وعلاقتها بالتأويل، والسياق التأويل، ومنهج التأويل عند الخوارج، وكذلك التأويل النحوي ودوره في بناء المعنى، وإدراك المفاهيم.

الكلمات المفتاحية : التأويل الدلالي، الخوارج، مستويات التأويل.

المقدمة:

الحمد لله الذي خلق الإنسان وعلمه البيان، وفضله على سائر الأجناس بالتمييز والتبيان، وجعل له من العقل الصَّحيح والكلام الفصيح منبئًا عن نفسه، ومختبرًا عَمّا وراء شخصه، والصلاة والسلام على سيدنا محمد ، الهادي إلى صراط مستقيم، والداعي إلى دين قويم، صلوات الله وسلامه عليه وعلى سائر النبيين، وعلى آله وصحبه وسائر الصالحين.

أمَّا بعد :

فإنَّ اللغة العربية من أعظم وأجل اللغات لأنَّ حكمة الله تعالى اقتضت أن تكون اللغة العربية هي لغة القرآن الكريم، ذلك الكتاب المعجز والخاتم لكل رسالات السماء إلى الأرض، وحري بلغة هذا شأنها أن تكون أوسع اللغات مذهبا، وأكثرها لفظا، وأجلها إفصاحا وبيانا ، ولم يكن دور اللغة قاصرا على القراءة والتلقين فقط؛ بل لها دور كبير في حل مشكلات المجتمع، فهي أداة ترابط وتماسك ووحدة المجتمعات، وفي هذا البحث نتناول دور اللغة وإسهامها في حل مشكلات المجتمع فلا تقل أهمية عن آليات حل مشكلات المجتمع، وقد تناولت نظرية التأويل الدلالي عند الخوارج والجماعات المتطرفة، وبيان منهجهم وأفكارهم.

أسباب اختيار الموضوع :

١-الرغبة في دراسة العلوم الدلالية ونظرية التأويل الدلالي.

٢- دورة اللغة في حل مشكلات المجتمع، وبيان مدى أثرها في بناء فكر الانسان وبناء المجتمع، ودور العقل التأويلي في الفهم .

٣- بيان منهج الخوارج ، والجماعات المتطرفة، وأثرها في بناء الفكر، ودور المنهج التأويلي في .

المنهج المتبع :هو المنهج الوصفي التحليلي الذي يعتمد على وصف وتحليل النصوص، وكذلك اعتمدت على المنهج التاريخي في عرض المفاهيم.

أولا: مفهوم التأويل:

التأويل في اللغة:

«في العين " وأل يئل لا يطرد في سعة المعاني اطراد آل يؤول إليه، إذا رجع إليه».[١]

وفي الصحاح : « (التأويل) تفسير ما يئول إليه الشيء وقد (أوله) تأويلا و(تأوله) بمعنى». [٢]

في اللسان :«أول: الأول: الرجوع. آل الشيء يؤول أولا ومآلا: رجع. وأول إليه الشيء: رجعه. وألت عن الشيء ». [٣]

---

١) العين: الخليل بن أحمد ، تحقيق : د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي ، دار ومكتبة الهلال ، ٨ /٣٦٩،مادة (أول) .

٢) الصحاح : ، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الرازي ، تحقيق : يوسف الشيخ محمد ، المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت – صيدا ، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م، ٢٥/١، مادة (أول)

٣) لسان العرب لابن منظور ، دار صادر – بيروت ، الطبعة: الثالثة – ١٤١٤ هـ ٣٢/١١، مادة (أول) .

وفي مقاييس اللغة : « ومن هذا الباب تأويل الكلام، وهو عاقبته وما يؤول إليه وذلك قوله تعالى: {هل ينظرون إلا تأويله} [الأعراف: ٥٣]». [١]

وفي أساس البلاغة : « وأوّل القرآن وتأوله. وهذا متأوَّل حسن: لطيف التأويل جدًا. قال عبد الله ابن رواحة رضي الله تعالى عنه: {من الرجز}

نحنُ ضربناكم على تنزيله ... فاليوم نضربكم على تأويلِهِ

ضربًا يُزيلُ الهَامَ عن مَقيلِهِ ... ويذهلُ الخليلَ عن خليلِهِ »[٢]

وفي الوسيط : « (أول) الشَّيْء إِلَيْهِ أرجعه يُقَال فِي الدُّعَاء لمن فقد شَيْئا أول الله عَلَيْك ضالتك وَفِي الدُّعَاء عَلَيْهِ لَا أول الله عَلَيْك شملك وَالْكَلَام فسره وَفَسرهُ ورده إِلَى لغاية المرجوة مِنْهُ والرؤيا عبرها».[٣]

التأويل في الاصطلاح :

عند أهل التفسير :

عرفه الراغب الأصفهاني في المفردات .

قال : « التأويل "هو ردّ الشيء إلى الغاية المرادة منه، علما كان أو فعلا ». [٤]

وعرفه السيوطي في الاتقان « التأويل ترجيح أحد الاحتمالات بدون القطع »[١]

---

١)معجم مقاييس اللغة ، للغزويني ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م. ، ١٦٢/١ مادة (أول) .

٢) أساس البلاغة ، للزمخشري ، تحقيق: محمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م ، ٣٩/١ .

٣)المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، دار الشروق الدولية ، الطبعة الرابعة ، ١٤٢٥هـ ، ٢٠٠٤م ، ص٣٣.

٤) المفردات في غريب القرآن ، الراغب الأصفهانى ، تحقيق: صفوان عدنان الداودي ،دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت ، الطبعة: الأولى – ١٤١٢ هـ ، ٩٩ .

وعند ابن رشد « هو إخراج دلالة اللفظ من الدلالة الحقيقية إلى الدلالة المجازة من غير أن يخل في ذلك بعادة لسان العرب في التجوز من تسمية الشيء بشبيهه أو بسببه أو لاحقه " أو مقارنه أو غير ذلك من الأشياء التي عددت، في تعريف أصناف الكلام المجازي». [٢]

وللتأويل عدة معاني ذكرت في القرآن الكريم وهي[٣] :

١ – التفسير والبيان: "وَما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ" [آل عمران: ٧).

٢ – الحقيقة التي يؤول إليها الكلام:

"هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ" [الأعراف: ٥٣] ، "بَلْ كَذَّبُوا بِما لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ" [يونس: ٣٩].

٣ – العاقبة والمصير: ذلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا [النساء: ٥٩].

٤ – تعبير الرؤيا: وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحادِيثِ [يوسف: ٦] هذا تَأْوِيلُ رُءْيايَ [يوسف: ١٠٠].

ويتضح لنا أن التأويل له عدة معاني فيقصد به الترجيح، والمعنى المجازي للفظ والتفسير والحقيقة، والعاقبة والمصير، وتفسير الرؤى.

الفرق بين "التفسير" و"التأويل":

« وذهب بعضهم في الفرق بين "التفسير" و"التأويل" إلى شيء غير مرضي فقال: التفسير بيان وضع اللفظ حقيقةً، كتفسير الصراط بالطريق، والتأويل: إظهار باطن

---

١)الاتقان في علوم القرآن ، جلال الدين السيوطي ، تحقيق : محمد أبوالفضل إبراهيم ، الهيئة المصرية للكتاب ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٤ ، ١٧٣/١ .

٢) فصل المقال ، ابن رشد ، تحقيق: محمد عمارة ، دار المعارف ، مصر ، الطبعة الثانية ، ٣٢.

٣)معجم علوم القرآن ، إبراهيم محمد الجرمي ، دار القلم – دمشق ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م ،٧٨.

اللفظ، كقوله تعالى: {إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ} (الفجر: ١٤) ، فتفسيره من الرصد، يقال: رصدته، إذا رقبته، وتأويله: تحذير العابد من تعدِّي حدود الله ومخالفة أوامره .

والذي عندي في ذلك أنه أصاب في الآخر، ولم يصب في الأول، لأن قوله: "التفسير بيان وضع اللفظ حقيقة" لا مستند لجوازه، بل "التفسير" يطلق على بيان وضع اللفظ حقيقة ومجازًا؛ لأنه من "الفَسْر"، وهو الكشف، كتفسير الرصد في الآية المشار إليها بالرِّقْبَة وتفسيره بالتحذير من تعدِّي حدود الله ومخالفة أوامره.

وأما "التأويل" فإنه أحد قسمي التفسير، وذاك أنه رجوع عن ظاهر اللفظ، وهو مشتَق من الأول، وهو الرجوع، يقال: آل يؤل، إذا رجع.

وعلى هذا فإن التأويل خاصّ, والتفسير عام، فكل تأويل تفسير, وليس كل تفسير تأويلًا ولهذا يقال: تفسير القرآن، ومن تفسيره ظاهر وباطن». [١]

«وقد عرض السيوطي في الإتقان الفرق بين التفسير والتأويل بأن التفسير أعم من التأويل.

والتفسير : أكثر استعماله في الألفاظ ومفرداتها ، والتأويل أكثر استعمال التأويل في المعاني والجمل، أكثر ما يستعمل في الكتب الإلهية، والتفسير يستعمل فيها وفي غيرها.

١) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، ضياء الدين بن الأثير ، تحقيق : أحمد الحوفي، بدوي طبانة ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة ـ القاهرة ، ٦٣/١ .

والتفسير بيان لفظ لا يحتمل إلا وجها واحدا، والتأويل توجيه لفظ متوجه إلى معان مختلفة إلى واحد منها، بما ظهر من الأدلة»[١].

التأويل عند علماء الأصول :

يعرفه الجويني بأنه " التأويل رد الظاهر إلى ما إليه ماله في دعوى المؤول وإنما يستعمل إذا علق بما يتلقى من الألفاظ منطوقا ومفهوما والألفاظ تنقسم انقساما أولا إلى المجمل والمجمل الذي لا يستقل بإفادة المعنى وإلى ما ليس مجملا ".[٢]

وما نقله ابن الجوزي عنه شيخه بأن التأويل " التأويل نقل الكلام عن وضعه وأصله السابق إلى الفهم من ظاهره في تعاريف اللغة والشريعة أو العادة إلى ما يحتاج في فهمه والعلم بالمراد به إلى قرينة تدل عليه لعائق منع من استمراره على مقتضى لفظه ".[٣]

ويرى أبوالحسن الآمدي بأن التأويل المقبول الصحيح فهو : « حمل اللفظ على غير مدلوله الظاهر منه مع احتماله له بدليل يعضده». [٤]

---

١) التقان في علوم القرآن ، جلال الدين السيوطي ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الطبعة: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م ، ١٩٢/٤ .

٢) البرهان في أصول الفقه ، عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني، تحقيق : صلاح بن محمد بن عويضة ، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت – لبنان ، الطبعة: الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م ،١٩٣/١.

٣) نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، ابن الجوزي، تحقيق: محمد عبد الكريم كاظم الراضي، مؤسسة الرسالة – لبنان/ بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م ، ٢١٧.

٤) الإحكام في أصول الأحكام، أبوالحسن الآمدي، تحقيق: عبد الرزاق عفيفي، المكتب الإسلامي، بيروت– دمشق– لبنان، ٥٣/٢ .

التأويل عند علماء البلاغة :

عرفه عبدالقاهر الجرجاني بأنه « تأولت الشيء، أنك تطلّبت ما يؤول إليه من الحقيقة أو الموضعَ الذي يؤول إليه من العقل، لأن أوَّلت وتأولت فَعّلت وتَفَعلت من آل الأمر إلى كذا يؤُول، إذا انتهى إليه، والمآل، المرجع».(١)

التأويل المذموم

هو صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح لدليل يقترن به, إنما لجأ إليه كثير من المتأخرين مبالغة منهم في تنزيه الله تعالى عن مماثلته للمخلوقين كما يزعمون، وهذا زعم باطل أوقعهم في مثل ما هربوا منه أو أشد، فهم حين يؤولون اليد بالقدرة مثلًا إنما قصدوا الفرار من أن يثبتوا للخالق يدًا لأن للمخلوقين يدًا، فاشتبه عليهم لفظ اليد فأولوها بالقدرة، وذلك تناقض منهم، لأنهم يلزمهم في المعنى الذي أثبتوه نظير ما زعموا أنه يلزم في المعنى الذي نفوه، لأن العباد لهم قدرة أيضًا، فإن كان ما أثبتوه من القدرة حقًّا ممكنًا كان إثبات اليد لله حقًّا ممكنًا أيضًا، وإن كان إثبات اليد باطلًا ممتنعًا لما يلزمه من التشبيه في زعمهم كان إثبات القدرة باطلًا ممتنعًا كذلك. فلا يجوز أن يقال: إن هذا اللفظ مؤول بمعنى أنه مصروف عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح، وما جاء عن أئمة السلف وغيرهم من ذم للمتأولين إنما هو لمثل هؤلاء الذين تأولوا ما يشتبه عليهم معناه على غير تأويله وإن كان لا يشتبه على غيرهم».(٢)

١)أسرار البلاغة ، عبد القاهر الجرجاني ، محمود محمد شاكر ، مطبعة المدني بالقاهرة ، ١٧٩.
٢)مباحث في علوم القرآن، مناع بن خليل القطان ، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الطبعة: الطبعة الثالثة ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م ، ٢٢٥.

« ومما ينبغي ملاحظته أن التأويل المذموم وإنما وجد حين ظهرت الفرق من خوارج ومعتزلة وشيعة وجهمية وباطنية، حيث أراد هؤلاء أن يوجدوا لأفكارهم غطاء مقبولاً فلم يجدوا أفضل من التستر بالتأويل، وإظهار أنه علم غزير توصلوا إليه، وهو في حقيقته نقلة إلى القول بأن للنصوص ظاهرا وباطنا وأن الظاهر غير مراد وأن الباطن هو المراد وهو بمنزلة اللب وتشويش مفاهيمهم بما أدخلوه من تلك المصطلحات الجوفاء، التي نرجو من الله عز وجل أن يبطلها ويعيد ذلك الصفاء الذي كان عليه سلف هذه الأمة الإسلامية فإنه لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها».[1]

فلا يجوز صرف لفظ من كتاب الله ولا سنة رسوله –صلى الله عليه وسلم– عن ظاهره المتبادر منه إلا بدليل صحيح يجب الرجوع إليه، ومن ذهب إلى التحريف والتأويل المذموم فقد أتى منكرا عظيما، فالقرآن الذي نزل على النبي –صلى الله عليه وسلم– بألفاظٍ واضحةٍ بينةٍ جلية سهلة واضحة المعاني في دلالتها ، والذي هو حجة على المشركين –أهل الفصاحة وأساطين البيان والبلاغة.

ثانيًا : نشأة الخوارج ومنهجهم

الخوارج في اللغة :

في معجم العين :« خرج: الخروج: نقيض الدخول، خرج يخرج خروجا فهو خارج. واخترجت الرجل، واستخرجته سواء .

والخارجي: الذي لم يكن له شرف في آبائه فيخرج ويشرف بنفسه».[2]

---

١) فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها، د. غالب بن علي عواجي، المكتبة العصرية الذهبية للطباعة والنشر والتسويق، جدة، الطبعة: الرابعة، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١م، ١٢٥٨/٣ .

٢)كتاب العين ، الخليل بن أحمد الفراهيدي ، تحقيق : د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي ، الناشر: دار ومكتبة الهلال ، ١٥٩/٤ .

وفي لسان العرب : « خرج: الخروج: نقيض الدخول. خرج يخرج خروجا ومخرجا، فهو خارج وخروج وخراج، وقد أخرجه وخرج به. الجوهري: قد يكون المخرج موضع الخروج يقال: خرج مخرجا حسنا، وهذا مخرجه. وأما المخرج فقد يكون مصدر قولك أخرجه والمفعول به واسم المكان والوقت، تقول: أخرجني مخرج صدق، وهذا مخرجه، لأن الفعل إذا جاوز الثلاثة فالميم منه مضمومة، مثل دحرج، وهذا مدحرجنا، فشبه مخرج ببنات الأربعة. والاستخراج: كالاستنباط.

والخوارج: الحرورية؛ والخارجية: طائفة منهم لزمهم هذا الاسم لخروجهم عن الناس. التهذيب: والخوارج قوم من أهل الأهواء لهم مقالة على حدة ».[١]

وقال الفيومي : « خرج من الموضع خروجا ومخرجا وأخرجته أنا ووجدت للأمر مخرجا أي مخلصا ، والخراج والخرج ما يحصل من غلة الأرض ولذلك أطلق على الجزية».[٢]

وفي معجم مقاييس اللغة : « الخاء والراء والجيم أصلان، وقد يمكن الجمع بينهما، إلا أنا سلكنا الطريق الواضح. فالأول: النفاذ عن الشيء. والثاني: اختلاف لونين.

فأما الأول فقولنا خرج يخرج خروجا. والخراج بالجسد. والخراج والخرج: الإتاوة ; لأنه مال يخرجه المعطي. والخارجي: الرجل المسود بنفسه، من غير أن يكون له قديم، كأنه خرج بنفسه». [١]

---

١)لسان العرب ، ابن منظور ، الناشر: دار صادر – بيروت ، الطبعة: الثالثة – ١٤١٤ هـ ، ٢٤٩/٢.

٢) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ، الناشر: المكتبة العلمية – بيروت ، ١٦٦/١.

وفي الاصطلاح :

الخارجي هو: « كل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه يسمى خارجيا سواء كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين؛ أو كان بعدهم على التابعين بإحسان والأئمة في كل زمان».[٢]

والخوارج : « هم كل من كفر المسلمين، وخرج على إمامهم ».[٣]

« وكلمة الخوارج علم مشهور على تلك الفرقة المعروفة التي وصفها النبي صلى الله عليه وسلم بالمروق من الدين وتميزت عن سائر الفرق بالغلو والإفراط والشطط والتنطع، كما تميزت في منهجها الحركي بالاندفاع والتهور والثورية العمياء، والقابلية السريعة للتمزق والاشتعال.

وقد امتلأت صفحات تاريخهم بنماذج غريبة لعقيدتهم ومنهجهم، فهم يقيمون الدنيا ويقعدونها، ويثورون ويحجمون من أجل إثبات قضية، قد لا تكون ذات شأن لكنهم يرون أن عدم إثباتها كفر وضلال، فإذا ما تحقق لهم ذلك نكصوا ونكسوا على رؤوسهم وقالوا: قد كنا مخطئين – بل كافرين – حين فعلنا ذلك،

---

١) معجم مقاييس اللغة ، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، الناشر: دار الفكر ، عام النشر: ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م. ، ٢/١٧٥.

٢) الملل والنحل ، أحمد الشهرستاني ، الناشر: مؤسسة الحلبي ، ١/١٤٤.

٣)أصول مسائل العقيدة عند السلف وعند المبتدعة ، سعود بن عبد العزيز الخلف ، الطبعة: ١٤٢٠هـ-١٤٢١هـ ، ٢/٧٤ .

فيثورون ويشتطون أشد من الأول من أجل إبطال ما أثبتوه، والتراجع عما قرروه ويرون ضد ذلك كفراً!!».[١]

وأيضا : « من خلع طاعة الإمام الحق ، والمراد هنا طائفة ، طائفة مخصوصة كان أول خروجهم على أمير المؤمنين الخليفة الراشد علي بن أبي طالب رضى الله عنه». [٢]

فالخوارج هم الذين يكفرون بالمعصية ، ويخرجون على أئمة المسلمين ويقتلون أهل الإسلام.

وكل من سلك سبيلهم واعتقد منهجهم يعد منهم ، وهم فرقة ليست مستقرة على حال في زمان أو مكان فتارة تظهر ويشتد عودها ، وتارة أخرى تسكن إما بقتال الإمام له أو بتوبتهم .

وقد أخبر النبي – ﷺ– أنهم سيخرجون في آخر الزمان ، وعن وصفهم ،قَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، إِذَا حَدَّثْتُكُمْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَدِيثًا، فَوَاللَّهِ لَأَنْ أَخِرَّ مِنَ السَّمَاءِ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَكْذِبَ عَلَيْهِ، وَإِذَا حَدَّثْتُكُمْ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ فَإِنَّ الحَرْبَ خِدْعَةٌ، وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «سَيَخْرُجُ قَوْمٌ فِي آخِرِ الزَّمَانِ، أَحْدَاثُ الأَسْنَانِ، سُفَهَاءُ الأَحْلاَمِ، يَقُولُونَ مِنْ خَيْرِ قَوْلِ البَرِيَّةِ، لاَ يُجَاوِزُ إِيمَانُهُمْ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ، كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، فَأَيْنَمَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ، فَإِنَّ فِي قَتْلِهِمْ أَجْرًا لِمَنْ قَتَلَهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ».

---

١)ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي ، سفر بن عبد الرحمن الحوالي ، الناشر : دار الكلمة ، الطبعة : الأولى، ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩ م ، ١/١٩٥.

٢) الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة ، عبدالقادر شيبة الحمد ، مكتبة فهد الوطنية،الرياض ، الطبعة السادسة ١٤٤٣هـ، ١٦٧ .

ألقابهم[1]:

ولهم ألقاب خمسة عُرفوا بها على مر التاريخ، وهي: المارقة، والشراة، والخوارج والحرورية، والمحكمة. وقد ذكر ألقابهم هذه وأسباب إطلاقها عليهم الشيخ أبو حاتم الرازي في كتاب (الزينة في الكلمات الإسلامية العربية) .

١ . **المارقة:** وهو اللقب القديم الذي جاءت في الأخبار عن النبي صلى الله عليه وسلم كما ورد في قصة الرجل الذي حضر قسمة النبي صلى الله عليه وسلم للهدية التي وجهها إليه علي بن أبي طالب رضي الله عنه من اليمن، إذ قام ذلك الرجل الذي ورد وصفه بأنه مضطرب الخلق، غائر العينين، ناتئ الجبهة، فقال له: لقد رأيت قسمة ما أريد بها وجه الله فغضب النبي صلى الله عليه وسلم حتى تورَّد خداه، ثم قال:" يأتمنني الله على أهل الأرض ولا تأتمنونني ". فقام عمر رضي الله عنه فقال: ألا نقتله يا رسول الله؟ فقال: " إنه يخرج من ضضئ هذا قوم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ... ".

٢ . **الحرورية:** وقد لُقبوا بهذا اللقب، لاجتماعهم بقرية حروراء . موضع بالنهروان . بعد خروجهم على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

٣ . **المحكمة:** وسُمُّوا بذلك، لأنهم لمَّا جرى أمر الحكمَين بصفِّين، اجتمع قوم من جملة أصحاب أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، وقالوا: لا حكم إلا الله، وأن الله قد حكم في التنزيل وقال: {فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ} وقالوا: إن عليّاً ترك حكم الله وحكّم الحكمين، فلا حكم إلا لله.

---

١) الإيمان بين السلف والمتكلمين ، أحمد بن عطية بن علي الغامدي ،الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية ،الطبعة: الأولى، ١٤٣٢هـ/٢٠٠٢م ، ١/٧٨-٧٩.

٤ . **الشراة:** وسموا شراة، لأنهم قالوا: شرينا أنفسنا من الله، نقاتل في سبيل الله، فنَقتُل ونُقتَل. وذهبوا في ذلك إلى قول الله عز وجل: {إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ} ، وقوله: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ} .

٥ . **الخوارج:** وسموا بذلك لخروجهم على كل إمام، واعتقادهم أن ذلك فريضة عليهم، لا يسعهم المقام في طاعته، حتى يخرجوا، ويتخذوا لأنفسهم دار هجرة، وحتى يكونوا منابذين لمن خالفهم من المسلمين، حرباً لهم. والمسلمون عندهم كفار مشركون، إلا من وافقهم، وبايعهم، واستجار بهم حتى يسمع كلام الله.

فهذه خمسة ألقاب للخوارج، اشتهروا بها على مر التاريخ، وهي كما يُلاحظ أسماء منوعة لفرقة أصلها واحد، وكل واحد منها، يجمع فرق الخوارج التي تشعبت فيما بعد إلى فِرق كثيرة، تنفرد كل واحدة منها برأي عن الأخرى. ونكتفي بهذا التعريف، والآن إلى رأيهم في الإيمان.

موقف الخوارج من الصحابة :

« أما الخوارج فيكفرون بعض الصحابة ، كعلي ، وعثمان ، ومعاوية ، وأبي موسى، وعمرو بن العاص –رضي الله عنهم – وأصحاب الحمل وصفين أو أكثرهم ، ويسبون بعض السلف ويلمزونهم».[١]

١)الخوارج مناهجهم وأصولهم وسماتهم –قديما وحديثا – وموقف السلف منهم ، د/ناصر عبدالكريم العقل ، دار القاسم للنشر والتوزيع ، الرياض الرياض ، الطبعة الثانية ، ١٤١٧م ، ص١٢.

أسباب خروج الخوارج[1] :

في البحث عن الأسباب والعوامل التي أدت إلى خروج الخوارج، يختلف العلماء في هذا السبب أو ذاك، وفي تحديد مدى فاعلية بعض الأسباب، والراجح أن أسباباً مجتمعة هي التي أدت بهم إلى الخروج، ونوجز أهم الأسباب فيما يلي:

١- النزاع حول الخلافة:

وربما يكون هذا هو أقوى الأسباب في خروجهم، فالخوارج لهم نظرة خاصة في الإمام معقدة وشديدة، والحكام القائمون في نظرهم لا يستحقون الخلافة، لعدم توفر شروط الخوارج القاسية فيهم، أضف إلى هذا عدم الاستقرار السياسي الذي شجعهم على الخروج، وإلى الحسد الذي كان كامناً في نفوسهم ضد قريش. إضافة إلى أنهم فسروا الخلاف بين علي ومعاوية رضي الله عنهما بأنه نزاع حول الخلافة. ومن هنا استسهلوا الخروج على عليّ ومعاوية من بعده.

٢- قضية التحكيم:

فقد أجبروا الإمام عليّ على قبول التحكيم، وحينما تم ذلك طلبوا منه أن يرجع عنه بل ويعلن إسلامه، فرد عليهم رداً عنيفاً.

وهناك من يقلل من شأن هذه القضية كعامل في ظهور الخوارج، ولا شك أن هذا خطأ فقد كان التحكيم من الأسباب القوية في ظهورهم.

---

١)فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها ، د. غالب بن علي عواجي ، الناشر: المكتبة العصرية الذهبية للطباعة والنشر والتسويق، جدة ، الطبعة: الرابعة، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م ، ١/٢٣٨-٢٣٩.

وقد رد بعض العلماء وشنع على من يقول من المؤرخين وكتاب الفرق، بأن كان في قضية التحكيم خداع ومكر، كالقاضي ابن العربي في كتابه العواصم من القواصم؛ حيث فصّل القول في هذا الأمر.

٣- جور الحكام وظهور المنكرات:

هكذا كان الخوارج يرددون في خطبهم ومقالاتهم، أن الحكام ظلمة والمنكرات فاشية والواقع أنهم حينما فعلوا خرجوا أضعاف ما كان موجودا من المظالم والمنكرات، حينما رأوا أن قتال المخالفين لهم قربة إلى الله تعالى، وأن الأئمة ابتداءً بالإمام علي – مع عدله وفضله– ثم بحكام الأمويين والعباسيين–كلهم ظلمة في نظرهم دون تحرٍّ أو تحقيق، مع أن إقامة العدل والنهي عن المنكرات يتم بغير تلك الطريقة التي ساروا عليها في استحلال دماء مخالفيهم حكاماً ومحكومين.

٤- العصبية القبلية:

والتي ماتت في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم وزمن أبي بكر عمر رضوان الله عليهما. ثم قامت في عهد عثمان وما بعده قوية شرسة، وكانت قبل الإسلام بين ربيعة– وأكثر الخوارج منهم– وبين مضر قوية، وقد قال المأمون في إجابته لرجل من أهل الشام طلب منه الرفق بالخوارج: (وأما ربيعة فساخطة على الله منذ بعث نبيه من مضر، ولم يخرج اثنان إلا خرج أحدهما شارياً) .

وهناك أسباب أخرى عوامل اقتصادية؛ كقصة ذي الخويصرة مع الرسول صلى الله عليه وسلم، وثورتهم الممقوتة على عثمان رضي الله عنه؛ حيث نهبوا بيت المال بعد قتله مباشرة، ونقمتهم على عليّ في معركة الجمل، ومنها كذلك الحماس الديني الذي مدحهم به بعض المستشرقون كجولد زيهر حينما ذكر أن تمسك الخوارج الشديد بالقرآن

أدى بهم إلى الخروج على المجتمع، والمغالطة في قوله هذا واضحة، فإن التمسك بالقرآن لا يؤدي إلى سفك الدماء بغير حق.

بدعة التأويل عندهم:

ظهرت بدعت التأويل عند الخوارج منذ نشأتهم ثم تطور حتى أصبح منهج لديهم لتأويل وتفسير النصوص الشرعية التي يتناولنها، والتي سطرت فكرًا وعقيدة، وتناولت المسائل العقدية تناولا يبرز عن فكر ويتناوله العقل التأويلي في إصدار الأحكام والآراء، وتناول العلماء فكر ومنهج الخوارج على أنه بدعة أحدثوها فيما بينهم ، «إن البدعة التي نشأت عنها جميع البدع وتشققت عنها كل الفرق إنما هي التأويل ونحن نزعم أن الخوارج هم أول من فتح باب التأويل في تاريخ الفرق الإسلامية، وفي تاريخ هذه الملة ، وكانت لتأويلاتهم نتائج عملية خطيرة أعقبتها بدورها آراء نظرية على عكس ما يذهب إليه بعض الباحثين من أن الخوارج أهل نص وحرفية وأصحاب كلمة ظاهرة .

ولقد صور لنا ابن رشد تصويرًا معبرًا ، عما سببه التأويل من الفرقة والبعد عن الشرع فالشرع ، في الصورة التي أمدنا بها بمثابة دوار ناجح ، وصفه طبيب ماهر لحفظ صحة الناس ، فصادف أن استعمله رجل فاسد المزاج ، رديء الطبع ، فلم يلائمه ، فأول تركيب ذلك الدواء ، بأن في اسمه استعارة ومجازًا ، وإنه إنما أريد به تركيب آخر ، وبذلك أدخل عنصرًا جديدًا في ذلك التركيب على أنه مقصود من قبل الطبيب ، فاستعمله أناس فإذا به كان سببًا في إفساد أمزجتهم ، ثم أتى أناس آخرون فزعموا أن هذا الدواء يشمل عناصر أخري ، قصدها الطبيب إلا أن المركب للدواء لم يدخلها في حسابه ، فعمدوا إلى تغيير تركيبه عن طريق تأويل ثان، وهكذا كلما زاد إفساد ذلك الدواء لأمزجة الناس ، جاء متأول ثالث ورابع فأول وكل تأويل من تأويلاتهم ، يلحق بالناس مرضًا آخر جديدًا إلى أن فسد ذلك الدواء تمامًا ، وخرج عن غايته

وغرضه الذي وضع من أجله ، وهذه الصورة يشبهها ما آل إليه المسلمون من الفرقة الواقعة في شريعتهم ، وإذا كل فرقة تأولت بتأويل لم تأول به الأخرى وبذلك مزقوا الشرع كل ممزق وبعدوا به غرضه ، ولقد فطن ابن رشد بما له من بصارة نافذة في الشريعة ، وإحاطة بتاريخ العقائد الإسلامية ومناهج الباحثين فيها أو المعتقدين لها من مختلف الفرق ، إلى أن أول من شرع في التأويل ، وحمل النصوص على غير ظاهرها الخوارج». [١]

ولم يكن فكر الخوارج يعتمد على التأويل فقط في فهم النصوص ودلالتها، إنما تناولوا أوجه السياق والمجاز، والدلالة باختلاف أنوعها، ونتج ذلك عن هيمنة العقل لديهم وعلى فكرهم في تفسير النصوص.

«وذكر الآجري عن طاوس ; قال: " ذكر لابن عباس الخوارج وما يصيبهم عند قراءة القرآن، فقال: يؤمنون بمحكمه، ويضلون عند متشابهه. وقرأ: {وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به} [آل عمران: ٧].

فقد ظهر بهذا التفسير أنهم أهل البدع; لأن أبا أمامة –رضي الله عنه –جعل الخوارج داخلين في عموم الآية، وأنها تتنزل عليهم، وهم من أهل البدع عند العلماء: إما على أنهم خرجوا ببدعتهم عن أهل الإسلام، وإما على أنهم من أهل الإسلام لم يخرجوا عنهم; على اختلاف العلماء فيهم. وجعل هذه الطائفة ممن في قلوبهم زيغ فزيغ بهم، وهذا الوصف موجود في أهل البدع كلهم.

مع أن لفظ الآية عام فيهم وفي غيرهم ممن كان على صفاتهم، ألا ترى أن صدر هذه السورة إنما نزل في نصارى نجران ومناظرتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم في اعتقادهم في عيسى عليه السلام، حيث تأولوا عليه أنه الإله أو أنه ابن الله أو

١() آراء الخوارج الكلامية ، د/عمار طالبي ، موفم للنشر ، الجزائر ، ٢٠١٣م، ج١، ص ١٠٣ – ١٠٤ .

أنه ثالث ثلاثة، بأوجه متشابهة، وتركوا ما هو الواضح في عبوديته حسبما نقله أهل السير؟!

ثم تأوله العلماء من السلف الصالح على قضايا دخل أصحابها تحت حكم اللفظ; كالخوارج فهي ظاهرة في العموم.

ثم تلا أبو أمامة الآية الأخرى، وهي قوله سبحانه: {ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات} [آل عمران: ١٠٥] إلى قوله: {ففي رحمة الله هم فيها خالدون} [آل عمران: ١٠٧]، وفسرها بمعنى ما فسر به الآية الأخرى، فهي الوعيد والتهديد لمن تلك صفته، ونهى المؤمنين أن يكونوا مثلهم».[١]

١) الاعتصام ، إبراهيم بن موسى الشهير بالشاطبي ، تحقيق: سليم بن عيد الهلالي ، الناشر: دار ابن عفان، السعودية ، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م ص٧٥

المراجع:

* العين: الخليل بن أحمد ، تحقيق : د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي ، دار ومكتبة الهلال .

* الصحاح : ، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الرازي ، تحقيق : يوسف الشيخ محمد ، المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت – صيدا ، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.

* لسان العرب لابن منظور ، دار صادر – بيروت ، الطبعة: الثالثة – ١٤١٤ هـ.

* معجم مقاييس اللغة ، للغزويني ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

* أساس البلاغة ، للزمخشري ، تحقيق: محمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م .

* المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، دار الشروق الدولية ، الطبعة الرابعة ، ١٤٢٥هـ ، ٢٠٠٤م .

* المفردات في غريب القرآن ، الراغب الأصفهانى ، تحقيق: صفوان عدنان الداودي ،دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت ، الطبعة: الأولى – ١٤١٢ هـ .

*الاتقان في علوم القرآن ، جلال الدين السيوطي ، تحقيق : محمد أبوالفضل إبراهيم ، الهيئة المصرية للكتاب ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٤ .

* فصل المقال ، ابن رشد ، تحقيق: محمد عمارة ، دار المعارف ، مصر ، الطبعة الثانية .

* معجم علوم القرآن، إبراهيم محمد الجرمي، دار القلم – دمشق ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م .

* المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، ضياء الدين بن الأثير ، تحقيق : أحمد الحوفي، بدوي طبانة ، دار نهضة م1) البرهان في أصول الفقه ، عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني، تحقيق : صلاح بن محمد بن عويضة ، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت – لبنان ، الطبعة: الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م .

* نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، ابن الجوزي، تحقيق: محمد عبد الكريم كاظم الراضي، مؤسسة الرسالة – لبنان/ بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

* الإحكام في أصول الأحكام، أبوالحسن الآمدي، تحقيق: عبد الرزاق عفيفي، المكتب الإسلامي، بيروت– دمشق– لبنان.

* أسرار البلاغة ، عبد القاهر الجرجاني ، محمود محمد شاكر ، مطبعة المدني بالقاهرة .

صر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة . القاهرة .

* الاتقان في علوم القرآن ، جلال الدين السيوطي ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الطبعة: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م .

* كتاب العين ، الخليل بن أحمد الفراهيدي ، تحقيق : د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي ، الناشر: دار ومكتبة الهلال .

*لسان العرب ، ابن منظور، الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤١٤هـ .

* المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ، الناشر: المكتبة العلمية – بيروت .

*مباحث في علوم القرآن ، مناع بن خليل القطان ، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الطبعة: الطبعة الثالثة ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.

* فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها، د. غالب بن علي عواجي، المكتبة العصرية الذهبية للطباعة والنشر والتسويق، جدة، الطبعة: الرابعة، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.

* كتاب العين ، الخليل بن أحمد الفراهيدي ، تحقيق : د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي ، الناشر: دار ومكتبة الهلال .

* لسان العرب ، ابن منظور، الناشر: دار صادر– بيروت ، الطبعة: الثالثة– ١٤١٤هـ .

* المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ، الناشر: المكتبة العلمية – بيروت .

* معجم مقاييس اللغة ، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، الناشر: دار الفكر ، عام النشر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

* الملل والنحل ، أحمد الشهرستاني ، الناشر: مؤسسة الحلبي ، ١/١٤٤.

* أصول مسائل العقيدة عند السلف وعند المبتدعة ، سعود بن عبد العزيز الخلف ، الطبعة: ١٤٢٠هـ–١٤٢١هـ .

* ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي ، سفر بن عبد الرحمن الحوالي ، الناشر : دار الكلمة ، الطبعة : الأولى، ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩ م .

* الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة ، عبدالقادر شيبة الحمد ، مكتبة فهد الوطنية، الرياض ، الطبعة السادسة ١٤٤٣هـ.

* الإيمان بين السلف والمتكلمين ، أحمد بن عطية بن علي الغامدي ،الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية ،الطبعة: الأولى، ١٤٣٢هـ/٢٠٠٢م .

*الخوارج مناهجهم وأصولهم وسماتهم –قديما وحديثا – وموقف السلف منهم ، د/ناصر عبدالكريم العقل ، دار القاسم للنشر والتوزيع ، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤١٧م .

*فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها ، د. غالب بن علي عواجي ، الناشر: المكتبة العصرية الذهبية للطباعة والنشر والتسويق، جدة ، الطبعة: الرابعة، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م .

* حقيقة البدعة وأحكامها ، سعيد بن ناصر الغامدي ، الناشر: مكتبة الرشد، الرياض

*فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها ، د. غالب بن علي عواجي .

* آراء الخوارج الكلامية ، د/عمار طالبي ، موفم للنشر ، الجزائر ، ٢٠١٣م.

* الاعتصام ، إبراهيم بن موسى الشهير بالشاطبي ، تحقيق: سليم بن عيد الهلالي ، الناشر: دار ابن عفان، السعودية ، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م .

The Theory of Semantic Interpretation of the Kharijites

Preparation

Abstract:

The research dealt with the theory of semantic interpretation and its impact on the linguistic lesson and the extent to which it is used by scholars and other Islamic groups. (Mu'tazila, Kharijites, Ibadis, Jahmiyyah and other Islamic groups) Our study was emanating from the corridors of Arab thought and its issues that revolve around the pillars of the Islamic mind. We had to highlight the role of language in confronting extremist ideology. which has led to the degradation and destruction of nations and peoples. the study relied on describing the ideological thought of the Kharijites and showing their semantic patterns. and the role of reason in interpretation, and not closing the mind in thinking and contemplating God's verses and rulings and its laws, there must be a balance between reason and transmission in the interpretation of texts and their connotations.

Keywords: semantic interpretation, Kharijites, levels of interpretation.